

وقد يهون أمر قضاء الحاجة في عرفات بالنسبة لانتساع المكان اما في
منى فان الحال يحتاج للدقة التامة في تعيين منازل المطوفين مع حجاجهم
وفي حفر أماكن التبرز وتجديدها عند امتلاءها وحتى في المباني الكائنة هناك

الأوبة بالغنيمه

عند ما كاد ركن النهار ان ينهار قام عمال المطوف بهدم الاطناب
وطوي المضارب بعد ما جمعنا أمتعتنا وجاء الغلام صالح السوداني بعربتنا
يجرها الحمار الذي ماوهن ولا تعثر حتى كانت الخيل لم تلحق له غبار

ركبنا عربتنا مع باقي العربات وسرنا لحد آخر حدود عرفة وكان الشفق
يبدو في الغرب بلونه القمر مزي انذانا بان الشمس قد نوارت بالحجاب هنالك
تحققنا بان مضينا لحظة من ليلة النحر بعرفة كما هو تعريف الشرع الشريف
وتحققنا أيضا بأنه قد صبح حجنا كما هو القول المأثور (الحج عرفة)

نفرنا من العامين وقد انتقدت بعض المطوفين لافساد هذا الركن
على حجاجهم حتى أنهم يبارحون عرفة قبل الغروب

وكان منظر الحجاج في النفر (النزول من العامين) كالسيل ينحدر
من المكان العالي فيبقى في النفس روعة وفي القلب فرحة فيتحرك اللسان
بالتهليل والتحميد لمولانا العزيز الحميد

انها لفرحة لا يعادلها فرحة لاننا خرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا امهاتنا
وقد تفضل المولى الكريم جل ثناؤه وتمالت كبرياؤه برضائه وتحننه على
أهل هذا الموقف ونظر اليهم بنظرات رحمة عند النفر من عرفة فكان كل

حاج يشعر بهذا الفضل العظيم فيرتاح ضميره ونظير علامات الفرح على
أسارير وجهه

وكيف لا نفرح وقد عدنا ونحن غامون تائبون لرَبنا عابدون . وعدنا
أيضا ونحن نحمل اسما زيادة على اسمنا (وكثرة الاسما تدل على شرف
المسمى) ولهذا فأنني استبدل اسم صاحبتى من الآن باسم الحاجة كلما
جاء ذكرها

مكانة القلم

يدب القلم ديبه على القرطاس فينقش كل تيممة تذهل القارئ فيؤخذ
مسهورا . ويتسلط القلم بسحر يسانه على العقول فيمليها مع كفة ميزانه
وعلى القلوب فيقودها الى الايمان بكلامه والقلم يأخذ بيد القارئ حتى
يرى نفسه بين روضة غناء يتضوع عبر الادب من ثنايا السطور . وهو
يحمس الجبان وينشط الكسول واذا هزه الكاتب في يده يكون امضى
من السيف اذا غضب واندى من الندى اذا رضى أو أحب . فصرير
الاقلام هو النغمة اللذيذة التي تتفتح لها آذان الامم فتسير ورائها وحمة
الاقلام يتقدمون وفي يدهم راية العز فياتلف الناس حولها . وقطرة واحدة
تسيل من مداد القلم تكون كالبلسم الشافي لسقام الامم والشعوب وقطرة
اخرى تكون كالحمم تتقاذف على العروش فتشلها وعلى الصروح فتدكها
من اساسها . وانه ليكنفى القلم نفرا ان أقسم الله تعالى به في كتابه المكنون
فقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون)

واقسم ان حملة الاقلام كلهم مدينون الى عرفات وما بجاور عرفات

عكاظ واخواتها

كان العرب قبل الاسلام يقيمون اسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز عند اقتراب موسم الحج ليعرضوا فيها عسارة قرائع الشعراء وبنات افكار الادباء حيث كان الشعر سجية لكل عربي وكان مقدار كل منهم وما يحسنه من المنظوم والمنثور حتى صاروا يتبارون في الفصاحة ومن يحوز قصب السبق فيها تدرج قصيده ضمن العلاقات في البيت الحرام أو يشار اليه بالبنان بين الانام وكان بيان سحبان وفصاحة قس بن ساعدة مضرب الامثال. وشعر امرئ القيس وطرفة بن العبد واضرابها من فحول الشعراء لا يزال يلى على أبناء العربية من الحكم البالغة والمعاني السامية ما يجعل رؤوسهم عامرة بجيد الادب وبليغ البيان . وقد فشت الفصاحة وكثرت بينهم كما كثرت السحر في قوم فرعون حتى جاء القرآن الكريم فوجم السكل أمام بلاغته العالية وكان كعصا موسى تلقف ما يصنعون

ولما دخل العرب في الاسلام هذبوا لغتهم ببلاغه القرآن حتى صارت تزهر في ثوب قشيب من البهاء والجمال وقد اغترف من منهاها العذب كل ناطق بالضاد وهذا ما جعلنى أقول أن كل الادباء مدينون إلى عكاظ وأخواتها القريبة من عرفات

ولقد تذكرت أيضا هذه الاسواق العظيمة وسيد الانبياء يعرض نفسه على القبائل في كل موسم ليدعواهم إلى صراط العزيز الحميد وهو يتلو عليهم آيات الذكر الحكيم فيقفوا أمامها خاشعين مطاطىء الرؤوس

فارس يعلم الاخلاق

ولقد وجدت بين الجاهلية الاولى فارسا يعلم الناس الاخلاق وهو
عنزة العبسي من أصحاب الملقات إذ يقول من شعر له
وأغض طرفي ان بدت لي جارتى

حتى يوارى جارتى مأواها
فما قولكم معشر المتدينين وأنتم تريدون أن تحترق أبصاركم حجب
الخدور لتنظروا ما وراءها فان انتسبتم إلى العرب فهذه أخلاق العرب وإن
رجعتم إلى الدين فرحمة العالمين قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وإذا نظرتم
إلى العمران فانحاط الاخلاق يقوض أركانه . فتمسكي أيتها الامة الناهضة
بالاخلاق فان الامم لا تحي حياة هادئة طيبة الا بالاخلاق

الى المشعر الحرام

سرنا وكان الكوكب المحبوب يطل علينا من سماء عليائه فكان منظره
اللجيني يبهج النفس ويفسح المجال للعين ان ترى الجادة كوضع النهار . وكانت
الجبال التي تكتنف الطريق عن يمين وشمال كأنها تحاديننا وتحنو علينا أثناء المسير
استمر بنا التسيار الى ان القينا عصاه بالمزدلفة عند المشعر الحرام وهو
(جبل قزح) وقد قطعنا المسافة في نحو الساعة وكسور الساعة

اعتق صالح رقبة الحمار وفك العريش عنها وقد صلينا المغرب مع العشاء
(جمع تأخير) وتناولنا من الطعام ما تبلغنا به مع الشكر للمنعم بجلال النعم
تبارك اسمه وتعالى جده

أخذت أفكر فيما هو المشعر الحرام . فالمشعر الحرام هو قطعة من

جبل وليس عليه حلي أو حلال ولا مزدانا بلؤلؤ أو مرجان ولا مبرقشا
بنقش من الالوان حتى كانت هذه العبادات حقيقة واضحة وضوح الصبح
لدى عينين بانه دين لاعوج فيه ولا مواربة ولا تعقيد (قل اننى هدانى ربى
الى صراط مستقيم ديننا قبا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)
- قرآن كريم -

أخذت الحاجة قسطا قليلا من الراحة بالعربة أما انا فاسترحت على
سجاداتى بالارض وبجوارنا كثير من الحجاج نائمين بالعراء ولما تبددت
جيوش الظلام وبدا الصبح بوجهه البسام استيقظت فصليت ثم ايقظت
رفقتى وأيقظت الغلام صالحا أيضا فشد الحمار بالعربة وجاء بها وقد النقطت
أربع عشرة حصاة كل منها على قدر البقرة وأخذتها فى جميعتى
وقد ذكرنا الله تعالى عند المشعر الحرام كما يقول عز شأنه فى كتابه
الكريم (فاذا انفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه
كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض
الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم)

الى جمرة العقبة

ركبنا العربة وسرنا قبل الاشراف وكان مسير له جلاله فى النظر وله
بهجته فى الفؤاد وكنت ترى الطريق مزدحما بطبقات الناس منهم راكب
الهودج ومنهم راكب الجمل وراكب الحمار ومنهم راكب العربة ومنهم الماشى
على قدميه وكنا نجد بعض العربان وهم يعرضون الجمال أو الحمير للركوب
بالاجرة وينادون عليها (يارويكب . يارويكب)

استغرق مسيرنا من الزمن نحو ساعة واحدة الى ان وصلنا جمرة

العقبة ويسمونها في مكة المكرمة (الشيطان الكبير) وهي عبارة عن بناء قليل الارتفاع علوه نحو القامتين تقريبا بجوار جبل صغير

نزلنا من العربية فالتحق بها الغلام جانبنا من الطريق ووقف لحراستها والامتعة وقد أعطيت الحاجة سبع حصيات ووقفنا تجاه العقبة وكانت منى عن يميننا والبيت عن يسارنا وكل منا رجمها بحصياته السبع وكنا نقول مع كل حصاة (بسم الله الله اكبر رجمنا للشيطان ورضا للرحمن) ونمسيك الحصاة بين الابهام والسبابة ونحذفها بحيث انها تصل الى الجرة والتي لم تصل منها تعاد . والى هنا يباح لنا التحمل من الاحرام الا الطيب والنساء

الحكمة من الرمي

لا بد للخطر ان يذهب الى البحث عن كنهه هذا الرمي وما الفائدة منه . وحكمته هي لاجل ان نتذكر فضل المنعم الكريم جل وعز على سيدنا الخليل حيث انه عند ما اراد ان ينفذ الامر العالى الالهى الذى تلقاه فى الرؤيا بتقديم ولده الكريم قربانا لله تعالى ولما أخذ الصبي الذبيح سيدنا اسماعيل ومعه الحبل والمذبة ومشى به ليدبحه فكان الشيطان يقابله فى هذه الاماكن وينزغ له بزرغاته فيلهمه الملهم العظيم بان يرجمه ليبعد عنه وسواسه فنحن نتشبه بايينا ابراهيم عليه السلام

وهناك ايضا حكمة دقيقة يجب ان نؤمن النظر فيها وهي ان الشيطان عدو طبيعي للانسان وهو واقف بالمرصاد يتربص بنا الدوائر فمن رحمة الله تعالى بنا ان نهنا بهذا الرمي الى وجود هذا العدو اللدود لناخذ حذرنا ولا نتمادى مع وسواسه بالشر والاذى والانغماس فى حمأة المنكرات

الشريفان الذبيحان

مادام ان الامر الذى تلقاه سيدنا ابراهيم عن ذبح ولده وقد شرع فى تنفيذه حتى فداه الله تعالى بذبح عظيم وكان هذا بالحجاز فالذبيح اذن يكون سيدنا اسماعيل لامحالة لان اخاه سيدنا اسحاق ولد بعده وكان متبعا مع امه السيدة سارة بالشام

ويكون سيدنا حبيب القلوب هو ابن الذبيحين . فالذبيح الاول هو جده الاعلى سيدنا اسماعيل ابو العرب والذبيح الآخر هو والده الشريف عبد الله بن عبد المطلب . وقصة ذبحه هذه هي

ان السيد عبد المطلب بن هاشم شيخ البيت الحرام لما أراد ان يحفر زمزم المباركة كما كتبنا سلفا تعرض له أشرف قريش ومنعوه عن الاسترسال فى الحفر قائلين له لا تحفر فى أرض بيتنا الذى هو عزنا وقد تمنى ان يكون له بهم قوة أو يأوى الى ركن شديد من أولاد يذودون عنه حيث لم يكن له الا ولده الوحيد الحارث بن عبد المطلب فنذر الله تعالى ان رزقه بعشرة من الاولاد ليذبحن أحدهم قربانا لله تعالى ولما عقب العشرة وزاد عليهم اثنين وكان أصغرهم الشريف الكرم عبد الله والد خير النبيين اتاه آت فى المنام وذكره بان ينى بنذره فقدم ولده الصغير هذا الى الذبح فتصدى له عظماء قريش وقالوا اذا فعلت هذا يأخذها العرب عنك سنة فيذبحون أبناءهم . ثم أجمعوا أمرهم على الذهاب الى أحد الكهان ليأمنوا برأيه فيما يفعلونه بهذا الحادث الجلل . فسألهم كم الدية فيكم ؟ فاجابوه انها عشرة أبعرة . فقال افدوا الغلام بها . ولكن خاطر السيد عبد المطلب لم يطمئن الى هذا الرأي بل انه صار يضرب القداح وكلما يضربها تخرج على الصبي

فيزيد الفدية عشرة فعشرة وهي تخرج على الصبي أيضا إلى ان أبلغها المائة
فخرجت على الابعة فقدمها فدية عن الصبي الكريم وقد تفضل الله تعالى
ونجاه من الذبح ليخرج من صلبه سيد الاولين والاخرين
وكان أحد السادة الاصحاب يحكى بانه تقدم رجل الى أعتاب الرسول
الكريم ليرجوه نوالا وقد أراد الرجل ان يطريه وينسبه الى أعز الانساب
فقال له أرجوك ان تقضي لي حاجتي (يا ابن الذبيحين) فتبسم السيد الكريم
ولم يبد اعتراضا على قول الرجل

بيعة العقبة

بحوار هذه الجرة كانت بيعة العقبة (وفي محلها مسجد مقام هناك)
هذه البيعة التي كانت مفتاح الفرج بعد الصبر الجليل . وكانت الاداة الفاتحة
لمستودع النور الذي أضاء الطريق أمام الانسانية حتى اهتدت الى الحياة
الهنئية حياة الحرية الصحيحة والاخاء الحقيقي وقد عرف الانسان تمام
المعرفة انه لا يوجد في الكون الا معبود واحد يدين الناس اليه بالعبودية لانه
قدير وانه هو وحده الذي برأ الخلق ورزقهم واليه مشواهم ومنقلبهم
ظل سيدنا رحمة العالمين يدعو الناس الى التوحيد ثلاثة عشر عاما
وقريش تضع العقبات في طريقه ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان
يتم نوره ولو كره الكافرون

ولما أذن الله تعالى ان ينشر رحمانه ونعمه على بنى الانسان ويخرجهم
من ذل الكفر الى عز الايمان جاء ستة رجال من الخزرج من أهل يثرب
الى الحج فتصدى لهم سيدنا البشير النذير كما دته وعرض عليهم الاسلام
فألت قلوبهم نحوه وتواعدوا معه ان يعودوا اليه في الموسم من العام القابل

مع نفر من قومهم بعد ان يبشوا فيهم روح الاسلام العالية . وقد تمنوا ان يسود الوفاق والوثام بين قبيلتي الاوس والخزرج (وهم السادة الانصار) وان يجمعهم الله عليه بعد ان ظلوا في حرب طاحنة من يوم (بغاث) وهو يوم نحسهم الذي ابتدأت منه العداوة الشديدة بين هذين القبيلتين مدى خمسة أعوام

والذي جعلهم يتحققون من صدق الصادق المصدق ان حلفاءهم اليهود من بني قريظة وبني النضير كانوا يستفتحون عليهم بنبي قد جاء اوان ظهوره وكانوا يتوعدونهم بالانضواء تحت لوائه فيستأصلونهم معه كما هلكت عاد وادم . وكان اليهود يعلمون بظهوره مما ذكر بالتوراة وقد بين الله لنا عبارتها بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يحدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون)

ولما جاء الموعد المحدد أقبل رجال من الاوس والخزرج وقد بايعوا السيد الكامل على ان يمنعوه ما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم وعلى السمع والطاعة في السر واليسر وان لا ينازعوا الامر أهله وقد انتخب منهم اثني عشر نقيبا ولما عاد هؤلاء الاثنا عشر الميامين الى يثرب قاموا بالدعاية الى التوحيد حتى فشى الاسلام فيهم وكثر بينهم فطلبوا من السيد الامين ان يبعث اليهم بمن يرشدهم الى امر دينهم فارسل اليهم فتى قريش سيدنا مصعب بن عمير ونزل على النقيب سيدنا أسعد بن زرارة وقد أسلم السادة الانصار كلهم ثم هاجر الصحابة الاخيار اليهم وبعدها اذن الله تعالى لافضل

المهاجرين بالهجرة فكانت هجرته للدين عزا وللإسلام فخارا وللانصار سعدا عظيما حيث ذهبت الاضغان والاحقاد من صدورهم وأصلح الرسول الكريم ذات بينهم وقد نوه الكتاب الكريم عن ذلك في قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) وأيضا شرفهم الله تعالى بأن تشرق شمس الإسلام من ديارهم.

هذا وقد تأخى الانصار والمهاجرون في الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصديقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) - قرآن كريم -

الى طواف الافاضة

بعد رمي جرة العقبة ركبنا العربية وسرنا الى مكة المكرمة وذهبنا الى المنزل نخلمت ثياب الاحرام ولبست ثيابي العادية ثم سرنا الى البيت المشرف لاداء ركن طواف الافاضة وهذا الركن يجوز ادائه أثناء شهر الحجة الا انه في يوم النحر أفضل ومعظم الحجاج لا يأتون به الا بعد ان يمضوا أيام التشريق بمنى ثم ينزلون الى مكة ويطوفون

نظرنا الى البيت المطهر واذا بالكسوة الجديدة الشريفة تسبل عليه والعمال قائمون باللازم نحو زريرها وترتيبها فكبرنا الله تعالى ودعونا ان يزيد بيته الكريم تشريفا وتعظيما وان يلهم القائمين بالامر الى السداد والرشاد

وبعد ان أتممنا الطواف خرجنا للسعي فسمعنا وحمدنا الله تعالى. وإلى
هنا تمت أعمال الحج المبارك والحمد لله تعالى على كمال نعمته وإحسانه

أيامُ التشريقِ بمبني

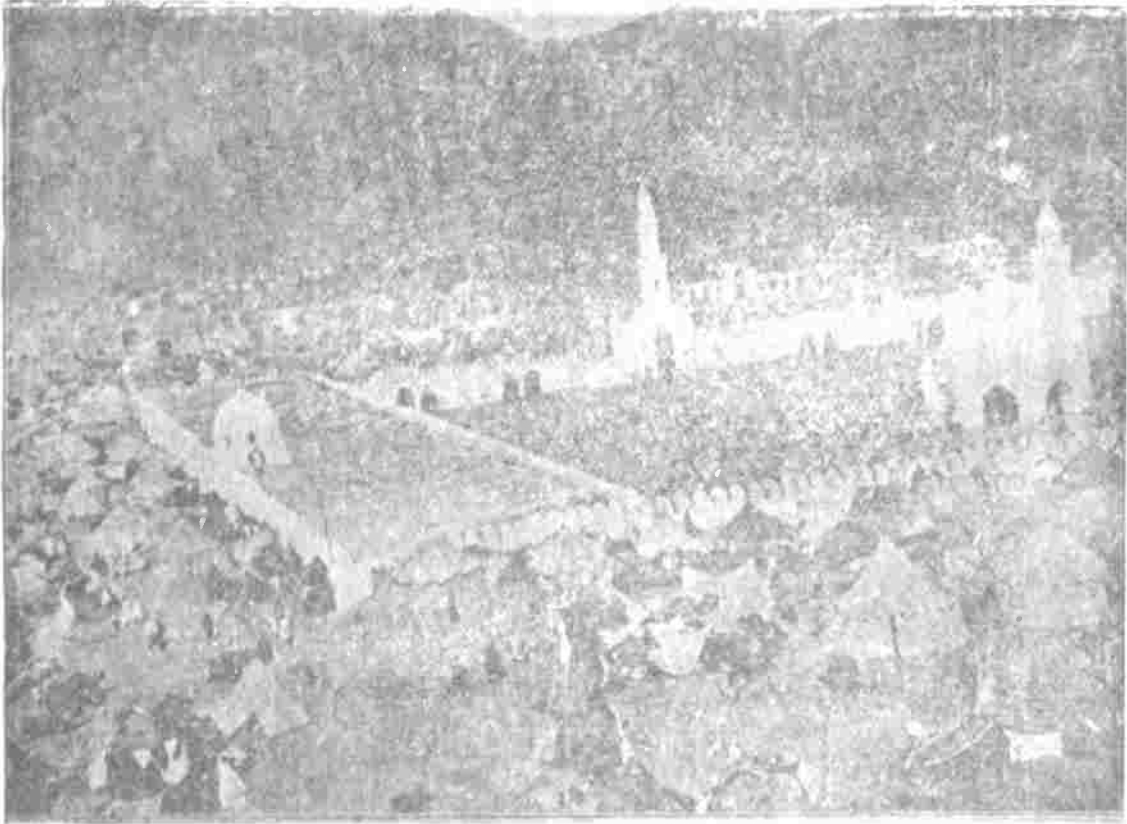
بعد ما استرحنا بالمنزل لحد العصر جاءنا صالح بالعربة ركبناها وعدنا
إلى منى ولما وصلنا هناك قيل بأن العربات لا تدخل في الشوارع منعاً للزحام
فصعدنا بالامر ومشينا على الأقدام إلى مسجد الخيف محل مضرب الخيام
ومعنا الحمال التكروني يحمل الامتعة ثم نزلنا بالخيمة الخاصة بنا وهي شرقي
مسجد الخيف مباشرة وكنا وقتها عند الغروب

البساطة في العيش

ما أظنيه من منظر خلوي بدوي حيث نفرش السجادة على الأرض
ونتبسط في العيش وما أحسن البساطة في كل شيء لأنه كلما تعمق الإنسان
في المدنية كلما كثرت حاجاته وكلما كثرت حاجاته كلما زادت همومه وعند
ما يرى نفسه مضطراً لأن يتحصل على الكماليات مجازاة للوسط الذي هو
فيه فلا يبالي بالوجهة التي يوليها للحصول على هذه الكماليات

هذا وإن أهل البادية لا يحملون من الهم ما يحمله أهل الحضر لأن
البدوي يكفيه جرد واحد (حرام) يعيش به السنوات العديدة وهو
يجمعه غطاءه ووطاءه ويكفيه أيضاً قميص ونعال وكذلك امرأته يكفيها من
الكسوة النذر اليسير ثم ومن عادة البدويين أنهم لا يمتثلون بالطعام بل

انهم يتباعدون بالكفاف منه وهذا هو المراد من خلق الانسان فانه يجب
ان يأكل ليعيش لا ان يعيش لياكل وقد ورد في الأثر (حسب المرء لقيامات
يقمن بها صليبه)



مسجد الخيف بمنى

الاماكن فى منى

أصبحنا الاربعاء ١١ الحجه ثانى أيام التشريق وقد خرجت إلى منى
وهي عبارة عن الشارع الذى به الجمرات وشارع آخر يوازيه يسمونه
(شارع الملك) وهناك مكتب للبريد والهرق ومكتب للصحة والشرطة
وهناك أيضا مباني يستأجرها بعض الحجاج وينصبون الخيام فى فناءها
ويقام هناك سوق كبير يباع فيه الخبز والخضر والفاكهة والبقول وكل أصناف

المأكولات وبيع فيه أيضا أنواع الهدايا التي يأخذها الحجاج معهم مثل
المسبحات والخواتم والكوفيات والقلائد والغويشات وغير ذلك

العيد والمحملان

وقد بعثت برسالة برقية إلى مصر للتهنئة بالعيد وهذا هو العيد السعيد
الذي يتمناه الناس لبعضهم إذ يقول الواحد للآخر (عقي لك السنة الجائئة
وأنت على مني) نعم أنه عيد سعيد لأننا مضيئة في كنف المولى البر الرحيم
عند بيته المحرم ولكن كان بداخل النفس شيء من الكآبة والاسى لشتات
أمر الاسلام وتفرق كلمته . وكما كانت الاعياد سعيدة عندما كان الاسلام
مهاب الجانب قوي الشوكة . والآن أننا نرفع أكف الضراعة إلى المولى الكريم
سبحانه ونعالي أن يلم شعثه وأن يرفع شأنه ويلهم أهله الوفاق والوئام
ويهديهم جميعا سبيل الرشاد

هذا وقد عادت بي الذكرى إلى أيام الحج الاولى وقت أن كنت
أرى الافراح تقام هنا وهناك والناس في غبطة وهناء حيث يقف المحملان
المصري والشامي ويصطف رجالهما من كل الرتب وهم يرتدون كمي التشريفه
الكبرى للاشتراك في الاحتفال بالعيد وكان لهذه الحفلة جلال ونخامة تزيج
الهم عن القلب المحزون

كذلك وكان وجود هذين المحملين بجانب بعضهما رمزا من الرموز
المعنوية على ارتباط هذين القطرين الشقيقين ارتباطا لا تنفصم عراهمدى
الدهور والازمان وقد يشمل هذا الارتباط الآن الثلاثة ايالات التي تتكون
منها الشام وهي (سوريا وفلسطين ولبنان)

ثم ووقت الاصيل عندما تتلطف حرارة الجو تصطف الموسيقىات

وتشرف الاسماع بنفعتها الشجية إلى أن ينقضى النهار بسلام وهكذا في
باقي أيام عيد الاضحى الثلاث

الذكر الرياضي

وكان مشايخ الطرق يقيمون حلقات الذكر الرياضي الذي لا محل
للاعتراض عليه لان الشرع الشريف لا ينهانا عنه لما ورد في القرآن الكريم
(واذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) ولو كانت نشوة الطرب لذكر
المولى القريب المحيى تخالج النفس فيهنز لها الجسم فليس هناك من بأس
وينبؤنا التاريخ بان سيدنا جعفر بن أبي طالب عند ما عاد من هجرة
الحبشة وتلاقى مع ابن عمه العظيم وبهرته أنوار النبوة المتلاثلة وجمالها
المليح جعل برجله كرقصة أبناء الاحباش من شدة الطرب وفرحة اللقاء
ولم يحصل أي اعتراض من قبل الرسالة العظمى

والآن قد دارت الايام دورتها حتى سمعنا بان صوت البوق (البورى)
الذى ينبه المساكر الى أمور تتعلق بشؤونهم هو منكر من المنكرات التي
لا يكتفى فيها ان ننكرها بالقلب أو باللسان بل نقاومها باليد وبالطمان. ولكن
الذين يصلون الى هذا الحد من الزهادة هم الذين لا يدخلون مع المعنيين بقوله
تعالى (ان الارض لله يرثها عبادي الصالحون) أي الصالحون لعمرانها

رجاء واستعطاف

من لى بأبلاغ صوتى الى العاهل الكريم الذى ملاء الحجاز قسطا وعدلا
لا تمس منه ان لا يعبأ بهذه القشور مادام لباب الدين محفوظا ولا يعتوره
أي مكروه . ليترك المحمل يسير بفرحه ومرحه وحفله وموكبه حتى يفرح

الناس وتفسر صدورهم وحتى يفرح الخالق بأفراح خلقه وإن عز عليه أن يرى جنوداً غير جنوده تخطر في الحجاز فهذا الجند يامولاي هو الجند المبارك وما هو إلا جندك لأن القطرين صنوان عزيزان وشقيقان عطوفان نعم يامولاي إن القطر المصري هو الأئخ الحنون البار الذي يقطع من طيب ماله ويهديه إلى الحرمين الشريفين خالصاً مخلصاً

اتفق يامولاي مع مصر واخضع جناحك لها وكن مع الجماعة فيد الله معها ولا تركن إلى مذهب واحد أو رأي واحد فالامة لا تجتمع على ضلال

رمي الجمرات

جمعت اثنتين وأربعين حصاة من أرض منى بحل الخيام وبعد تناول الغذاء والراحة وبعد الصلاة الوسطى قمنا إلى رمي الجمار فرمى كل منا سبع حصيات لكل جرة من الجمرات الثلاث ثم عدنا فرحين مستبشرين وكذلك في اليوم التالي أي يوم الخميس ١٢ الحجة رمينا الجمرات بالكيفية المتقدمة . وقد استصدر المطوف أمراً من الحكومة بحضور العربات عندنا بحل الخيام فاحدنا متاعنا وقمنا بعد صلاة العصر وكنا نرمي الجمرات ونحن سائرون

وقد مضينا يومين اثنين بمنى وقد صدرت رخصة بهذا من المولى الرحيم في قوله تعالى (واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) والقليل جداً من الحجاج يمضي الثلاثة أيام بمنى

العودة الى مكة المكرمة

سرنا بالعربات وكان البشر والسروور يلازم خطواتنا والحمد لله قد نلنا غاية
المنى وبلغ القصد من رب السموات والارض وقد وصلنا الى مكة قبل
الغروب بسلام آمين

ولدى وصولنا سمعنا خبرا شممنا منه رائحة التساهل حيث اقيمت
حفلة العيد أمام القصر الملكي ونزل صاحب السمو الامير فيصل الى حلقة
البرجاس وأخذ شوطه فيه ثم نزل والده الكريم وأخذ دوره أيضا
وقد صار أهل مكة المكرمة الآن يسمعون في بيوتهم الحاكي
(الفونوغراف) ويسمونه (الصندوق) وقد أمسى هذا الصندوق وله
شأن عظيم في أندية السمر المنزلية حيث تدار به اسطوانات أم كلثوم ومحمد
عبد الوهاب وغيرها

الجمعة الرابعة والسودان

كانت آخر جمعة من الجمع السعيدة التي كنا نتمتع فيها متاعا حسنا
بالصلاة في جوار البيت العتيق المطهر هي الجمعة الرابعة وكانت توافق يوم
١٣ الحجة فصلينا وحمدنا الله تعالى على نعمه واحسانه ثم عدنا أدراجنا
الى المنزل

ولقد تقابلت مع زمرة من اخواننا السودانين فحاطوا بي احاطة
السوار بالمعصم وأخذوا يسمعون علي سلام مشوق لحبيب عاد بعد غياب
طويل ويقولون مرحبا بأخينا المصري وأهلا وسهلا (لان هيئتي كانت

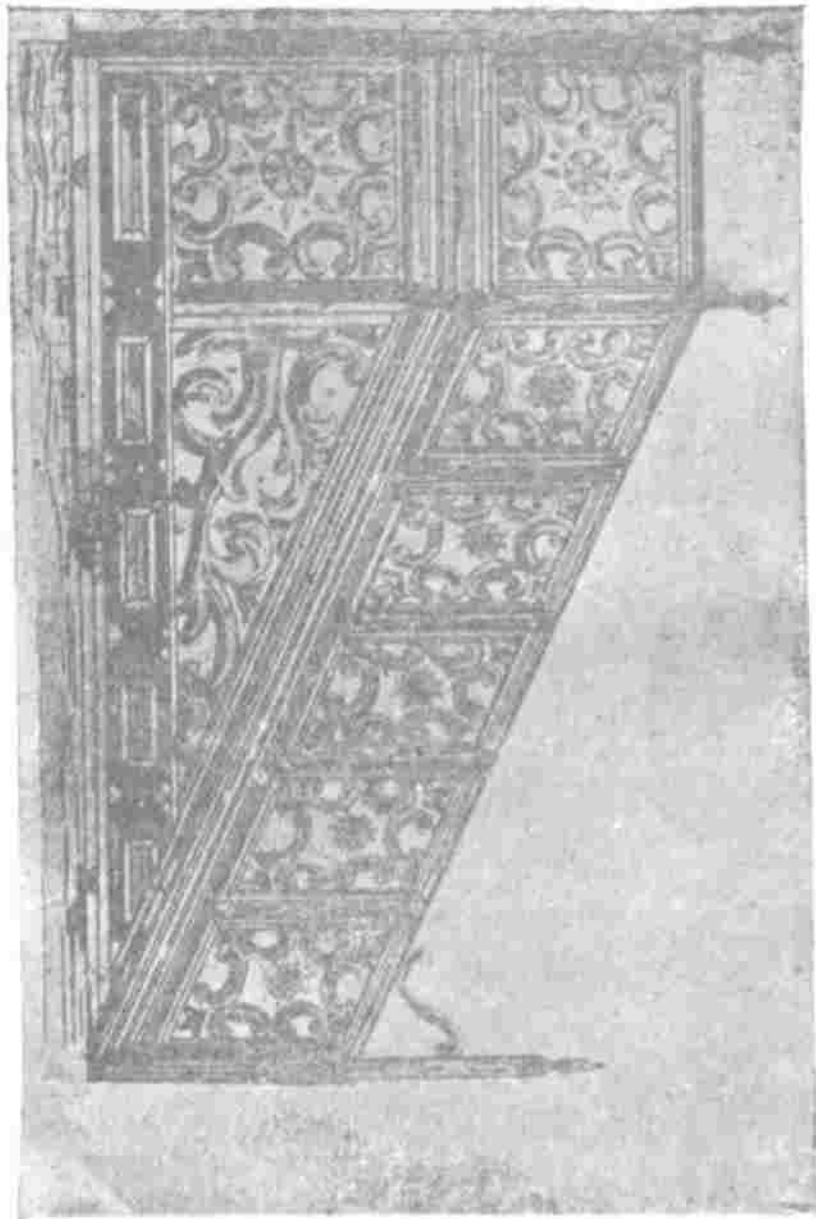
تدل لا أول وهلة على اننى من المصريين (فقلت لى الله السياسة التى فرقت
بين هذين اللدين المتقاربين والحبيبين العزيزين حيث تسقى أرضهما بماء
واحد هو ماء النيل المبارك وتربطهما روابط كثيرة من الاخلاق والعادات

بالعتبة المقدسة

كنت أتوه كثيرا الى الحاج طاهر برغبتنا فى التشرف بدخول البيت
المطهر فما نرى منه الا ناصحا أمينا حيث يعظنا بأنه لا يجوز ان يهجم
الانسان على الملك فى بيته وخه وصا هذا البيت هو بيت رب الارباب
وملك الملوك فكنت أجيبه بان سيدنا الانسان الكامل قد دخل البيت
وهو خير قدوة لنا . وكان هذا الامر لا يبرح من بالى . وكنا نرى الشيخ
الشيبى أمين المفتاح يفتح باب الكعبة المشرفة بين كل يوم وآخر ويدخل
الناس أفواجا للتبرك ولكن كان يتعذر علينا الوصول الى جهة الباب
لشدة الزحام

وأخيرا فى يوم السبت ١٤ الحجة ٢ مايو قمنا قبل الاشراف ومكثنا
نطوف ونتملى بالبيت المشرف ولزمنا الملتزم ندعو ونضرع الى الله تعالى
واذا بالشيخ الشيبى قد أقبل مع توابعه ونصبوا له السلم الصغير
(ويوجد للكعبة المشرفة سلم كبير مزخرف بالفضة وعليه نقوش
أخرى وهو يوضع فى الاحتفالات الكبيرة)

ثم صعد هؤلاء ومعهم المجامر ليطلقوا البخور داخل البيت المشرف
ولما كنا بجانب السلم تماما (بجوار الملتزم) وجدنا ان الفرصة سانحة
للدخول وقد أذن الله تعالى لنا بهذا التشريف العظيم . فحاولت الخادم
الواقف بجوار السلم شيا من المال لیسلمه الى الشيبى ثم صعدت انا والحاجة



السلام الكبير للكعبة المشرفة

وكانت هزة سرور عظيمة تكاد الأعصاب ان تتخدر لها وكدنا ان نصعق
جلال الامر العظيم الذى وصلنا اليه . وقد صلينا فى أربعة أركان المكان
ودعونا الله تعالى بما شاء ان ندعوه به

وقد وجدت بقية من بقايا التحايل المحبوب على الرزق وذلك ان
هناك ستارة يقولون انها موضوعة على باب التوبة ويقف بجانبها رجل من
أهل مكة يدخل الناس خلفها ويتلو لهم بعض الادعية فى مقابلة شيء
يعطفون به عليه . وكذلك وجدت رجلا آخر يقول للزائر ضع رجلك
هنا وقف على حجر الرحمة وينتقى حجرا أحمر من الاحجار المرصوف بها
أرضية المكان وكنت أعطف عليهم مع علمى انه تحايل ولكنه على كل حال
طريق من طرق الاحسان الذى قمنا من بلادنا لاجله

أخذت أطيل النظر فى الشيخ الشيبى واذا به رجل نحيل ربعة يميل
الى السمرة وهو فى آخر مرحلة من مراحل العمر وقد بيضت السنون
شعره وأحنت ظهره ويحف به ناس من أولاده وأحفاده وخدمه . وبنو
شيبه كلهم فى سعة من العيش

فكرت حتى رجعت الى يوم الفتح الأعظم وقد أخذ الفتح العظيم مفتاح
الكعبة المشرفة من عثمان بن طلحة من بنى عبد الدار وكانت الحجابة فيهم مع
اللواء (وعبد الدار وعبد مناف اخوان لابيها قصي أحد الاباء العظام
المتصلين بالنسب الشريف الطاهر)

ثم صدر الامر من السماء (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
أهلها) عند ذلك رد السيد الامين المفتاح الى عثمان بن طلحة وقال (خذوها
يا بنى طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم) وقدمات عثمان بن طلحة ولم يعقب
فورث الحجابة شيبه ابن أخيه وقد صارت فى بنيه الى يومنا هذا

العمرة من التنعيم

قلت ان منزلنا كائن بمحلة الشبيكة وهي الطريق العمومي للداخل الى الحرم الشريف والخارج منه من جهة الغرب (أي من طريق جدة والمدينة) . ولما ان أتم الناس كل مناسك الحج وأيننا بعضهم يخرجون بثياب الاحرام ليأتوا بعمرة من التنعيم كما أتت بها السيدة عائشة الصديقية والتنعيم هذا يبعد عن الحرم الشريف بنحو الستة كيلومترات تقريبا وهو حدود الحرم من جهة المدينة

وهذه العمرة هي التي اعتمرتها السيدة عائشة الصديقية حين خرجت الى التنعيم هي وأخوها الكريم سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا أبي بكر الصديق وأحرمت منه للعمرة بدل التي فاتتها عند قدومها مع السيد الكامل في حجه المبارك ولما وصلت الى سرف أتها عادة النساء فامرها الرسول الكريم ان تقف للمواقف كلها الا الطواف والسعي وأخبرها بان أعمال الحج تندمج فيها أعمال العمرة ولكنها أرادت الاستزادة من الثواب فأتت بالعمرة التي نحن بصدد الكلام عنها

وكنا نريد ان نأتى بهذه العمرة ولكن عادة النساء جاءت الى الحاجة فلم تتمكن من الذهاب اليها وهي على كل حال من النوافل وليست من الحج في شيء

والحمد لله قد أدت الحاجة المناسك كلها ولم يفتها منها شيء الا ان كان طواف الوداع وهو يسقط عنها كما سبق للسيدة صفية أم المؤمنين . وكان من رحمة الله تعالى بالحاجة ان جاءت هذه العادة في هذا الاوان حتى تدخل المدينة المنورة وهي غير محدثة

كيفية الترحيل

انه يتحتم على المطوف ان يقوم باللازم نحو ترحيل حجاجه سواء الى المدينة المنورة أو الى بلادهم عن طريق جدة فمن يريد السفر منهم على الجمال يخطر عندهم المقوم (وهو رئيس طائفة الجمالين) ومن يريد السفر بالسيارات يخطر عندهم النقيب (أي نقيب شركات السيارات) وحتى ومن يرغب السفر راجلا لا بد ان يخطر عنه وكل هؤلاء لهم صلة بالحكومة لاجل تحصيل الضرائب وهي تجبي هذه الضرائب باعتبار النصف أو أكثر قليلا مما تحصله الشركات أو الجمال

وكان عمال الحكومة المصرية المنوط بهم أعمال تتعاقب بأمورية الحج عند ما يرغبون الحج أو الزيارة يطلبون من مندوب الداخلية مخبرة الحكومة السعودية لمعافاتهم من الكوشان (اتاوة الحكومة) فتسمح لهم بهذا وقد سلمت الى الحاج طاهر أربعة وعشرين جنيتها وأربعة عشر غرشا مصريا أجرة السيارة الى المدينة المنورة ذهابا وعودة عنى وعن الحاجة

ولما كان من عادة السيارات ان لا تحمل من الامتعة الا الضروري لكل حاج وكانت (أخر اجنا) محشوة بامتعة كثيرة فاضطررنا لان نستأجر لها جملا لتوصيلها الى جدة وحفظها عنده وكيل المطوف حين عودتنا وقد دفعنا أجرته جنهين اثنين . وكل من يريد الاقتصاد في النفقة فليقلل من العفش بقدر الاستطاعة . أما جيراننا القنانيون فقد انصرفوا رغبتهم الى السفر للزيارة على الجمال لتخفف عنهم المصاريف فصار المرغوب نقلهم بواسطة مطوفنا على السيارة اثني عشر شخصا وهم التسعة الافغانيون والحاج محمد سايمان ونحن الاثنان وقد عمل الحاج طاهر الاجراءات اللازمة نحو الحصول على السيارة

القلب يابى الوداع

بقى علينا من الواجبات نحو البيت العتيق المطهر ان نطوف به طواف الوداع فقامت بهـذا الواجب والقلب راغم لانه لا يريد الوداع . التزمت الملتزم وكنت آمل ان العبرات التى تجود بها المفلة تبرد من لوعة الفؤاد المفؤود لهذا الفراق . بكيت وبكيت طويلا لانه فراق لحل نزلات الرحمة الالهية ومكان تعطفات العزة الصمدانية . تأثرت لفراق البيت بيت ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فهو سبحانه وتعالى الذى ياهم الوليد بان يلتهم حلمة الثدي ليتبأغ للحياة . وهو الذى يهدى المعجم من السوائم لان تحنو على نسلها حتى يعيش وينمو . وهو الذى يهدى الفلك التى تجرى فى البحر بامرہ

ان حشاشة القلب تكاد ان تتمزق لفراق بيت ربنا واجب الوجود الذى اهتدى لوجوده البدوي البسيط يستدل على ذلك بما يقع تحت حسه ونظره اذ يقول (البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير) وهذا الكون بنظامه البديع المتقن دلالة صريحة على وجوده سبحانه وتعالى انه لو كانت البحار مدادا والاشجار أقلاما ما قامت بالشناء على الله تعالى ازاء فضله وتكرمه لابن آدم حيث جعله جرما صغيرا وتنطوى فيه العوالم الكبيرة فبينما تراه جائئا على الثرى اذا هو يسرح بادراكه الى ما وراء الطبيعة واذا به أيضا يرصد الكواكب فيتعرف كنهها . وهو يتعمق فى العلوم الكونية حتى أصبح يناطح الافلاك ويسابق الاسماك ويسخر الجو لمواصلاته

فلاثير طوع أمره والهواء والشمس والقمر والنجوم مسخرات لسيده
(الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم
الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من
كل ماسألتهموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) - قرآن كريم -

بطل الرواية

ان معظم رحلتنا الميمونة هذه كانت فى مكة المكرمة ولذلك نعتبر
الحاج طاهر انه بطل روايتنا ولكننا لا نقف معه موقف القصصيين الذين
يسدلون حجابا من الفضيلة على أبطال رواياتهم حتى لا يظهر عايبهم أي
تجريح . وبما اننى أكتب هذه الصحيفة لتضاف على صفحات التاريخ فما
يكون لى ان أحميد عن الحقيقة قيد شعرة ولهذا ترانى مضطرا لان أثبت
بادرة صغيرة بدرت منه ولا أعتبرها هفوة بل هي أقل منها بكثير
وذلك ان الذين سبقونا بالحج يحذروننا من ركوب السيارة (التاكس)
الصغيرة لانها تعطل كثيرا ولا تجد من يعينها بخلاف اللوري فانها تحمل
ركابا كثيرين ولو تعطلت فى الرمل يعاونها ركابها العديدون لانها ضاها ولهذا
انصرفت كل رغبتنا الى الركوب فى هذه اللوري وقد قيل لنا أيضا بان
الركوب فى مقدم السيارة أحسن منه فى مؤخرتها لهذا رجونا الحاج طاهر
بان يجعلنا نبادر قبل الناس فى الركوب لنتخذ المكان الحسن بها

يوم الخروج

علينا ان نخرج الى جرول (الشيخ محمود) ويسمونه (البروز) لان

الحجاج ينتظرون الترحيل من هناك

وفي صباح يوم الاثنين ١٦ الحجة ٤ مايو بارحنا المنزل بعد ان قامت صاحبتى بتوديع السيدات صويحباته وقد استأجرنا عربة صندوق لحمل المتاع وللا ركوب ولما وصلنا الى (جروول) وجدنا الحاج طاهر يتزلف الى السيد الافغانى وقد رأيناهم أخذوا بحالهم في مقدم السيارة ولولا ان اجتهدنا وأفسحنا مكانا بينهم لكنا فى المؤخرة فكأننى بالحاج طاهر وهو يتمشى مع المثل القائل (بعد المعركة نصير معرفة) وقد اجتهدت ان لأعكر الصفو بينى وبينه سيما ونحن فى مقام الوداع ونود ان يكون الختام مسكا عطرا. والحاج طاهر قد بذل جهدا كبيرا فى خدمتنا ونحن أيضا بذلنا ما فى وسعنا لمرضاته

كلمة الى المسلمين

قبل ان تتحرك السيارة الى كلمة وجيزة الفت بها أنظار اخواننا المسلمين بان هذه الارض المقدسة هي المملكة الروحية للعالم الاسلامي فيجب ان نبذل النفس والنفيس فى حفظها ورفاتها

ان الحرم المسكى الشريف يحتاج الى اصلاح كبير بان تبلط أرضه بأكلها ويحتاج أيضا الى مظلات أوسع من المظلات الحالية حتى لا يجلس الناس فى الصلاة على الحصى وحتى لا تلغى وجوههم الشمس المحرقة . ويحتاج أيضا الى تعهد بالنظافة وبالدهان (بالبوية) وان يعطى له النور الكافى وان يفرش بالبسط أو جزء منه ويفرش الباقي بشيء آخر مثل الحصر أو سواها

ثم ويحتاج الحال أيضا الى دورة مياه كبيرة جدا ليتمكن الحجاج كلهم من قضاء الحاجة ومن الاستنجاء أولى من وقوفهم فى الطرقات لهذا الغرض

وما دام ان العالم كله قد تطور فيه العمران فيجب ان يصل التحسين الى المسجد الحرام . وعار على المسلمين ان لا تكون قبلتهم في اكل تنظيم وأنخم ترتيب

هذا واذا كانت الحكومة القائمة بالامر في الحجاز تحتاج الى المال لهذا الغرض فالواجب علينا ان نمدّها به ان لم يكن بطريق الاكتتاب فنتقبل ماتسنة الحكومة الحجازية من الضرائب على الحجاج

كلمة الى الحكومة السعودية

بقي لي كلمة أبديها للحكومة السعودية وهي أننى بارحت هذا البلد الامين المقدس وكلى السنة ناطقة بالشكر إزاء قيامها بواجبها كما تفعل الحكومات الرشيدة من المحافظة على الامن وعلى الاخلاق وعلى الدين وعلى الصحة وعلى المال وعلى الآداب وبالجملة لانها تقيم منار العدل كتنعالم الاسلام الحكيمه وإننى أتقدم إليها براء بسيط هو انها تسير مع جمهور المسلمين فى المسائل المختلف عليها والتي لا تزال معالقة بينها وبين جاراتها وخصوصا مصرنا المحبوبة وأن لا تخرج عن الجماعة فى كل الآراء وأن تلتفت بنوع خاص إلى حفظ الآثار الاسلامية وربما نرى أن تعير مقترحاتى التى بينتها بكتابى هذا جانباً من الرعاية والنظر

آخر الاوقات السعيدة

أنه لا بد لكل إنسان أن يتقلب فى حلو العيش ومره ولا بد له أيضا أن تمر عليه الاضداد من أنواع الحياة فكان من أسعد أيامنا التى

مرت علينا هذه الاربعة وعشرون يوما التي مضيناها في كسف اللوى
الكريم بجوار بيته المطهر وكننا كما كان عبيده محل رعايته وأمانه ورضوانه
إلى أن أزمعنا الرحيل اليوم . والذي كان يكفكف الدمع المدرار اهتتون ويبرد
لهيب الجوى من قلب المفارق المحزون هوان وجهة السفر كانت إلى طيبة
طيب الله ثراها ونظر بنظرات نحنانه واحسانه إلى أهلها وكل من يفشاها

الى جدة

قامت بنا اللورى قبل الظهر وسارت فى طريقها إلى جدة وكانت
تصاب بعطب أثناء الطريق حتى تعطلت مرارا فلم تصل الى جدة الا قبل
الغروب بقليل وكانت طرقات جدة ومنازلها كلها مشغولة بالجاويين وعفشهم
لترحيالهم الى بلادهم كذلك وكان منزل بأنان مشغولا بالجاويين والهنود
ولكنهم أفسحوا لنا مكانا للمبيت فيه أما السيد الافغانى فأنه بات بمنزل آخر
وأما الحاج محمد سليمان فأنه بات مع أصحاب لنا من المصريين ينزلون بدار أخرى
وقد استيقظنا فى صباح الثلاث ١٧ الحجة وصرنا ننتظر قيام السيارة

وقد مشيت قليلا فى جدة وجهزنا شيئا من الغذاء لاكلنا أثناء الطريق
وانني أعود الى ما يذكره التاريخ عن جدة هذه فإن مينا الحجاز كانت فى الشعبية
وهي جنوبى جدة وقريبة منها وقد رأى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان
أن ينقلها الى جدة لقربها من مكة المكرمة فنقلها اليها من سنة ٢٦ هجرية

السيارات والحكومة

كل سيارة لا تخرج الى السفر الا من بعد أن تكشف عليها الحكومة
كشفا فنيا وهي تأمر كل شركة أن تعد عربة احتياطية تشي وراء عرباتها تحمل

بعض الآلات والمعدات حتى اذا تعطلت احداها تمدها بما يلزم لها وأيضا تنبه الحكومة على الشركات بتعيين أحد المهندسين من قبلها يسير مع العربات الاحتياط حتى يقوم بتصليح أي عربة يحصل لها عطب وكذلك كل شركة يكون لها مخازن في الطريق لتخزين البنزين حتى تأخذ العربات كفايتها منه وكانت سيارتنا رقم ٧٨٠ من الشركة الخيرية وقد ذهب بها سواقها واسمه بكر السوداني الى مركز الشركة لتصليحها واعدادها للسفر وكانت السيارات تستخدم الاجانب من المصريين وغيرهم (المسلمين) ولما تعلم أهل البلاد مهنة سواقة السيارات صارت تستغنى عن هؤلاء الاجانب

الاستعداد لقيام السيارة

بعد العصر أقبلت السيارة فركبنا وركب السيد الافغاني وحاشيته وقد سار السواق بالسيارة الى أن أوقفها بجانب السور الشمالي للبلد وكان مخفر الشرطة على بابه وقد صارت الحكومة تعمل اجرائها في قيد السيارات ورقها وركبها وجنسياتهم مع كتابة التصاريح اللازمة التي تخول لها المرور من المخافر الموجودة بالطريق

وعندما جاء الدور لسيارتنا كان الليل ارحى سدوله فصلينا العشي وقد استلم السواق التصاريح ولما فتح صمام الالة المحركة ليستعد للسير كان

النور يحذب السيارة

انطلقت بنا السيارة انطلاق السهم من الرمية وسرنا على بركة الله تعالى والقلوب فرحة مستبشرة والصدور منشرة مرتاحة وكانت السيارة تنير



اثناء السير

مصايبها الامامية القوية حتى يظهر الطريق امامها واضحا واستمرت تسير نحو الساعتين الى ان وصلنا الى نقطة اسمها (توال) فانتظرنا هناك للمبيت

وكان بهذه النقطة اما كن معدة لراحة الحجاج ومبيتهم وهي مصنوعة من (القش) وبعضها مفروش (بالخسف الخوص) ومضاء بمصابيح البترول وبها مقاعد (دكك) من الجبال الليف المجدول يشبه (العنجريب) وهي مجمولة بصفة مقهى يعرض بها الشاي والقهوة ويبيع بها ايضا بعض المأكولات ويوجد غير ذلك اما كن صغيرة من (القش) ايضا مجمولة كغرف خصوصية لمن يريد العزلة فأخذ السيد الافغانى غرفة لعائلته واخذت غرفة اخرى لى وصاحبتى اما الحاج محمد سليمان فانه بات بالمحل العمومي (المقهى) وكذلك الخدم الافغانيون . وكان هناك مقاهى كثيرة غير هذه لمبيت الحجاج ولما تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود استيقظت واستيقظ الآخرون وصلينا وسرنا على بركة الله تعالى وصرنا نقف بالطريق ببعض النقط للراحة وشرب الشاي والقهوة والغذاء الى ان وصلنا الى نقطة المساجيد عند المساء وكان الامراب يبيعون بالطريق كثيراً من الخبز والسمك وبعض البقول والفواكه

الدرب سابقا

طلقة بارودة واحدة من قمة احد الجبال التى تكتنف الدرب عن يمين وشمال كانت توقف الركاب كله حتى يتفاوض العربان مع الحجيح فيملى شيخ القبيلة ارادته عليهم بان يدفع كل حاج اناوة قدرها خمسة ريالات فيدعون للامر ويجيبون الطالب ثم يسير الركاب واذا به يسمع طلقة اخرى فيملى

شيخ القبيلة الثانية ارادته ايضا بان يدفع كل حاج ثلاثة ريالات فمکان الحجاج
مدى الاثنى عشرة مرحلة التى يقطعها المسافر حتى يصل الى المدينة المنورة
وعم تحت رحمة مشايخ العربان ان شاء وايسمحون لهم بالمرور والاهناك
العذاب والتقتيل

وكانت تهون المصيبة لو وقف الداء عند هذا الحد بل هناك داء
دفين يستمعى برؤه وهم الاعراب (الجمالة) فان الحاج المسكين كان
ياخذ معه الشاي والبن والسكر والخبز والجن وغير ذلك ليلقم الجمال
كما يلقم الكلب المسعور والايهوى بالخنجر الى أحشائه فيفريها ولا من منغيث
أنظر كيف يكون الجاهل عدو نفسه وتأمل أيضا في حالة المعرض
عن تفهم كنه هذه الملة السعجة كيف يتخبط في ظلمات عميقة من
الجهل المطبق. إنه لو عرف هذا الاعرابي الغبي بأن الدين لا يفرض الحج
الا عند أمن الطريق ثم يأتي هو بصلفه وغروره فيجعل حبل الامن
مضطربا حتى يحجم الناس عن الحج ويمنع عن نفسه الانتفاع

العربان الان

والآن ماذا نرى ؟ نرى ذرارى هؤلاء العربان يقفون حفايا عرايا
وسط طريق السيارات يستندون الاكف وينادون (يا بلى بلى يا بوي هالة
يا بوي) فيرمى له بعض الركاب بالهالة كما ترمى الكسرة الى أي حيوان
تقف السيارة ليملاء السائق خزائنها بالبنزين ويلقى الصفيحة فارغة
على قارعة الطريق وأقسم اننا كنا نمودقنرى الصفيحة كما هي ولا يجسر
أحد من الدنوا اليها
كنت أتحمس على استمائي للنصائح الجوفاء التي عاقتني عن ركوب

(التاكس) واثني أرى هذا التاكس وهو معطل بالطريق فيأني الفاتكون بالامس والوادعون اليوم فيساعدونه الى أن يأخذ طريقه

يا لله . هل نحن بالحجاز في القرن الرابع عشر الهجري ؟ كلاب نخلت نفسى في خير القرون وقت ان كان ظل الامن الوارف يمتد رواقه على الحجاز فيلزم السكل حدود الادب الديني ويكفون عن الاذى . وقت ان كان سلام الطمانينة يعم البلاد فتتنفس الانفس نسيمه اللطيف فتذهب معه وخامة العسف والجور . وقت ان كان من نصر بالعرب ينشر لواء العدل فيخفق على الرؤس حتى تتقارب الانسانية وتعرف حقيقة (الحرية والاخاء والمساواة)

الاستمرار في المسير

بتنا بالمساجيد في غرفة خصوصية ايضا وكنا نحل ربطة السجادة ونخرج الفراش منها لاجل المنام ونستخرج ايضا من (السبت) ما يلزم لنا من الطعام وكان الشاي والقهوة موجودين بالمكان فناخذ كفايتنا منه

انه اذا عدل الراعى اعتدلت الرعية فكنت عندما اريد المنام لا استغرق فيه كثيرا لاخوف على الامتعة وعلى انفسنا ايضا ولكننى رأيت انه لم يخطر على قلب اي اعرابي ان تمتد يده بسوء اليما حتى كنا نتفقد الاشياء البسيطة فنلقاها كما هي

هذا وقد مضينا الطريق وصاحبتى في صيانة ثامة وحجاب محكم حتى كان هذا يدحض قول من قال بانه غير ميسور للنساء في هذا الطريق ان يحافظن على الستر والصون (ولكل امرء من دهره ما تعود)

السيد الافغانى

كنت انظر الى هذا الرجل بعين الاحترام والعطف حيث تظهر عليه سلامة الطوية وكان منظره بملأ العين مهابة وارتياحا والذي يزيد احترامه في نظري ان النساء اللاتي معه كن في غاية الحشمة والوقار وما كنا نرى لابتهن وجها ولا يدا. وكان ابنه معه وهو شاب مؤدب وكان يشكو بعض المرض فصاروا يهدون له فراشا بالعربية فكان ينام معظم الطريق والامر الذي كنت آسف له أنه لا يعرف العربية فيكلمني ولا أنا أعرف الافغانية فالكلمة وكذلك كل الذين معه ولهذا كنا لا نتفاهم معهم مطلقا وكان معي عقاير مختلفة للعلاج ولكني لم أعرف نوع المرض الذي يعتريه وأخيرا ناولته بعض الحبوب المسهلة فأذن الله تعالى له بالشفاء

بلاد الافغان

هذا واننى احفظ في فرارة النفس كثيرا من الاعجاب والحب لبلاد الافغان التي لاتزال دائبة على التسمك بتماليم الملة الحنيفية وهي فضلا عن احتفاظها بالاخلاق القويمة الكريمة فانها ايضا تتفانى في محبة اوطانها حتى كانت تذود عنها بكل ما اوتيت من قوة وعزيمة وعندما كان بعض متآخميها يريد ان يبتاعها بجدونها لقمة غير سائغة فلا يستطيعون ازدرادها. وهكذا تكون الامم الباسلة التي تريد ان تتبوا مركزها تحت الشمس بعزة وانفة كذلك والتاريخ يسطر بين طياته صحيفة ناصعة من الفخر والكرامة لما قام به ابو مسلم الخراساني من الانتصار للحق حيث كان العامل القوي في رد حقوق العباسيين

امان الله خان

وعلى ذكر بلاد الافغان قد تذكرت ان الملك امان الله خان الملك السابق لهذه البلاد قد جاء الى الحج في هذا العام ونزل ضيفا كريما على البيت الملك بالحجاز . ولما جاء ذكره تذكرت فضل المولى عز وجل واحسانه وانه سبحانه وتعالى يدافع عن اللاجئين الى اعتابه القدسية حيث ان الشعب الافغاني لا يحيد قيد شعرة عن مبادئ الاسلام السامية ولما اراد زعيمه ان يورده موارد البوار وان يخرج من عز الطاعة حتى يرديه في هاوية سحيقة من الاستخفاف والاستهتار نظرا اليه مولاه بعين رحمته واتقذه من هذه الاسواء

وانى التمس بعض العذر لمن يغره زخرف هذه المدنية (المادية) حيث يكون مثله كمثل ساكن المنجم عندما يخرج الى وهج الشمس لا بد ان تعشى بصره فلا يميز الغث من السمين ولا الخبيث من الطيب

الكاليون

ومن الذين جذبهم مغناطيس هذه المدنية (المادية) اخواننا الكاليون وهؤلاء قد نشأوا في (الروملى) مجاورين لاوربا ولما وجدوا انها تسيطر على المسكونة ارادوا ان يسير واسيرتها حتى يتقدموا تقدمها ولكن فاتهم ان الاتراك الاولين كانوا يفوقون الافرنج رجولة ورقيا وخصوصا في الحياة المنزلية حيث كنت عندما تلج البيت يكون اول واجب عليك ان تخلع نعليك كانك تدخل الى مكان مقدس ثم تلبس شيئا آخر مثل (شيشب) أو (بنتوفلى) لم يتدنس باو حال الطريق . وأنتك اتمدهش من نظافة البيت

وترتيبه وقد ترى أثاثه بسيطا ولا كنه بهرك نظافته وتنسيقه . وتجد أيضا ربة البيت وهي تديره بحزم ولباقة وأطفالها يدبون حولها كالافصان الغضة القوية وهم يسبرون بسرعة الى النمو الطبيعي بسبب الاعتناء بتربيتهم وتنظيفهم . ولو أسعدك الحظ وتناولت شيئا من الطعام على مائدة تركية لعجبت من ترتيبها وتنميتها ويعجبك الطهي وانتقاء الاطعمة واختيار الالوان

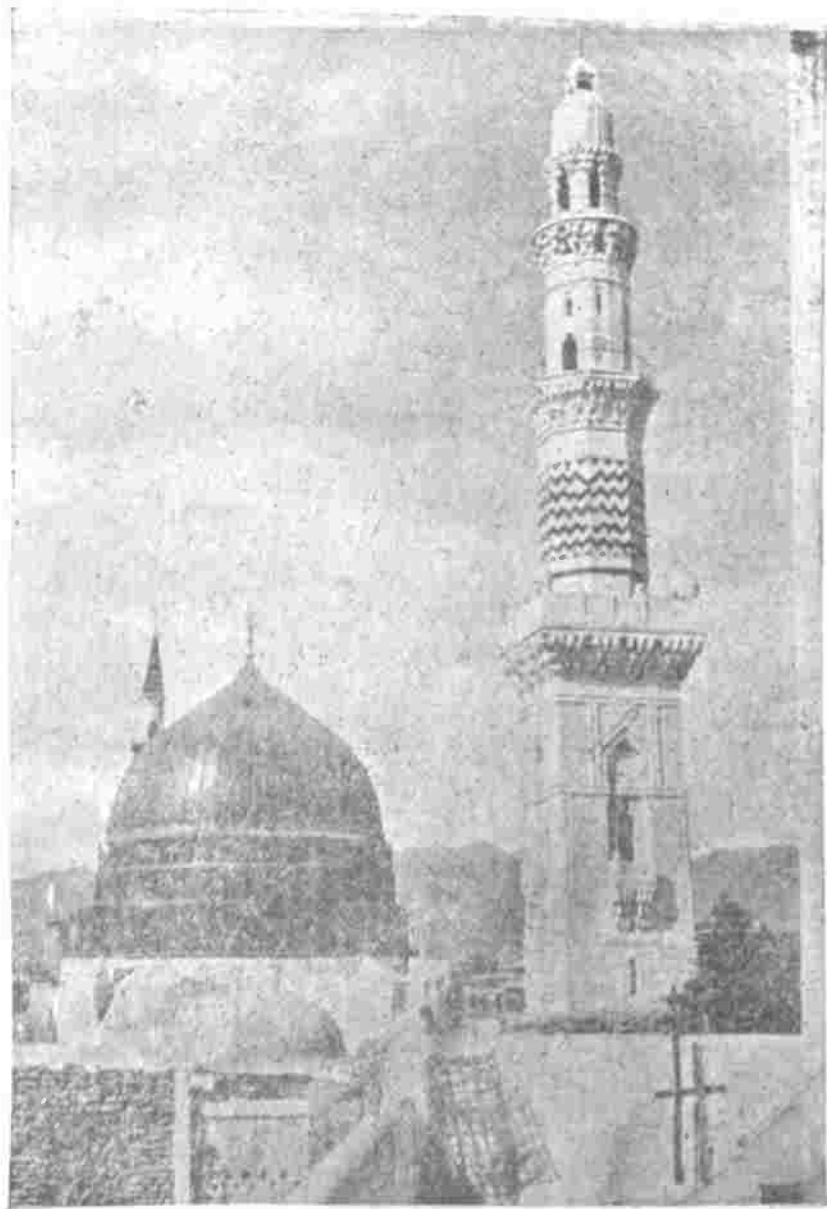
اننا نكبر من الكماليين أثرهم بالانتفاع بمنتجات بلادهم حتى وأن الحكومة ذاتها تحت الاهالى على تعصيدهم لبعضهم وتحتم على موظفيها أن لا يشتروا الضروريات الا من صنع بلادهم . وأننا نقدر لهم أيضا تقدمهم في مرافق الحياة كلها فهم ينشئون المصانع ويشقون الترع ويقيمون الجسور ويهدون الطريق ويطايرون في الهواء ويغوصون في الماء وكل هذا جميل وحسن ولكن ما بال المرأة التركية تصد خدرها وتهجر عشاها هل المدنية كلها تنحصر في بروز المرأة سافرة متبرجة ؟ فيا اسفا على المرأة التركية القديمة التي كانت تضيء البيت بجهاها وكملها وكانت كالوردة النضرة التي لا يجسر احد على العبث بها او الاقدام على مسها وكان الرجل التركي لا يرتكن على المرأة لتسعى بجانبه كما يفعل الاغيار من الامم بل كان يكذب ويكده لاجل اسماعها وصونها

ولقد قيل بان الذي جعل الكماليين يناوئ بجانبهم عن الشرق ولم يريدوا أن يروا بينهم اثاره من أثره حتى أبدلوا أحرف كتابتهم بالأحرف اللاتينية انهم وجدوا المسلمين من كل الجنسيات يتألبون عليهم حتى خسروا الحرب

وقد نتج من هذه الحالة ظهور اية من ايات الله الكبرى تعرفنا بان

كل من اعتز بغير الله لا بد ان يذل على يديه فترى الذين ظاهروا الخلفاء بالامس
يعضون النواجذ أسفا اليوم حيث انهم قلبوا لهم ظهر المجن ونكثوا بعهودهم
معهم (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - قرآن كريم -
النهار السعيد

استيقظنا في الصباح المبكر من يوم الخميس ١٦ الحجة ٧ مايو وبعد



رسم قبة النبي عليه الصلاة والسلام

ان أدبنا واجبنا نحو ربنا ونحو نفوسنا ركبنا السيارة وقلوبنا تحقق لشدة
الفرح وقد شعرت بقشعريرة بسبب برودة الجو ارتديت لاجلها المعطف
وكان هذا برد المدينة وسلامها هدية الكريم لتحية القدوم
يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا (وما قبر محمد إلا نور كهربائي يجذب
قلوب المسلمين) وهذه هي الحقيقة بعينها لان قلبي كان يستبطن السيارة وهي
تنهب الارض نهبا وتهد الجبال هدا ويود ان لو يطير ليحظى بشرف المثول
هذه آبار على بشائر أعلام المدينة شربنا من ماءها حتى ارتويننا لانه
عذب زلال ثم تابعنا السير حتى شاهدنا النور والبهاء والجمال

في حضرة الكمال

مدينة النور

هذه مدينة المدنية الصحيحة التي تبعد الانسان عن عبادة الاشخاص.
هذه مستودع النور الذي يشع على الانسانية فينير لها طريقها الى الهدى
والرشاد . هذه مهبط الوحي ومهد العرفان ومنبع الكمال والجلال . هذه
مدينة الايمان الذي ارتشف من منهله العذب خلصاء المؤمنين فصارت
قلوبهم عامرة بالعلم الصحيح والرأي الرجيع علم الحيانين وسعادة الدارين
وقفت الاوري بالمتسع الكائن امام محطة السكة الحديد القديمة ويرحم
الله أيام هذه السكة الحجازية كنا نكتب ويكتب الناس لاجلها حتى اذن الله
تعالى لها بالتمام فكانت سفرتنا بها عام ١٩١٠ سفر قمرية مزبحة للأراح حتى
جاءت هذه الحرب العالمية المشؤمة فعمطت هذه السكة المباركة والله في خلقه شؤون
المسافة بين مكة والمدينة ٥٠٠ كيلو مترا تقريبا وكان يمكن السيارة

ان تقطع هذه المسافة بالراحة في ظرف سبع عشرة ساعة أي باعتبار ثلاثين كيلو مترا في الساعة الواحدة لان الطريق ليست ممهدة بل كانت السيارة تسير بين وهاد ونجاد وقد قطعت السيارات هذه المسافة في نحو السنتين ساعة لانها كانت تجنح الى الراحة حتى تصالح من شأنها وتأمين سخونة عذتها وحتى يستريح السواق ومساعدته أيضا

في مقعد بني حسين

تقدم اليها بعض أهل المدينة يدعوننا الى النزول عندهم ولكنني كنت



الباب المصرى بسمور المدينة المنورة

أحمل اسم الشيخ عبد الله صالح فضايلى ولما ذكرت اسمه حضراً أخوه الشيخ حمزة فضايلى وأحضر الحمالين التكرانة حملوا الامتعة وسرنا من باب العنبرية (وهو أحد أبواب السور الاول) الى المناخة الى الباب المصري (أحد أبواب السور الثانى) وهناك قريباً من باب السلام عطفنا جهة اليمين على نزلة بنى حسين ودخلنا دار الفضايلى وهي معروفة (بمقعد بنى حسين) وقابلنا الشيخ عبد الله بدشاشته وحسن خلقه . واهل المدينة المنورة كلهم على جانب عظيم من الوداعة ولين العريكة . واخلى لنا دوراً ارضياً وحدنا اما الحاج محمد سليمان فانه نزل بفرفة بدور علوي مع حجاج آخرين من الهندود والجاويين وكان يتوعدك من مرض اصابه الا انه ببركة تقواه وورعه كان يقاوم هذا المرض مع اخذه بأسباب العلاج والسيد الافغانى قد ذهب الى منزل آخر وكان لابد لى ان انظف ثيابى وبدنى حتى استعد للقاء العظيم

امام الحضرة النبوية

بدأت أنوار طه فكانت فرة العين وفرحة القلب فوقفت أمام الحجر الشريفة وليس عندى جارحة الا واضطرب لعظم هذا الموقف وجلاله وهذا بعد ان قمت للمسجد الشريف بواجب التحية بالصلاة وضعت يدي على صدرى وقلت السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا حبيب الله . أشهد انك بلغت الرسالة وأديت الامانة فجزاك الله منا وعن أمتك خير الجزاء . ثم انتقلت خطوة الى يمينى وسلمت على سيدنا الصديق الكريم ثم خطوة أخرى وسلمت على أمير المؤمنين الفاروق وبعد هذا استقبلت القبلة ودعونا الله تعالى ان يصلح شأننا وشأن المسلمين وكنت أرى الجند السمودين يكفون أيدي الناس عن التمسح بالفبر

الشريف ويقولون للناس ان هو الانحاس أحضر من الاستانة وصاحب
القبر قد أدى مأموريته التي كلف بها ثم مات

وهنا سألت نفسي هل المساكر عندنا في مصر يجندون من الطبقة
المتنورة حتى أقيم لقول المساكر السعوديين وزنا ؟ كلا بل هم قوم لا يعرفون
من الدين الا قشوره ويتمسكون بجزء جامد غير مرن من التعليم لا يتمشى
مع روح الاسلام العالية وتعاليمه المجيدة التي توافق كل زمان ومكان

لقد وصل الى علمنا ان الصحابة وهم الذين ائتمناهم على أخذ ديننا
عنهم كانوا يمسحون بوضوء الانسان المكمل أبدانهم للتبرك ووصل الى علمنا
أيضا ان يده الشريفه وريقه المبارك كم ابرأ من مرض وكما أذهب ما من وصب
ومتى عرفنا هذا نعتقد بان جسده الشريف مبارك وكل ما يلامسه مبارك
أيضا . سيما وانه يقول الخواص من المسلمين ان هذه البقعة من الارض
التي تضم اعضاء أشرف الورى هي أفضل من كل شيء في الوجود

ويقول الجند السعوديون أيضا ان المصريين تبعدهم الشقة ويتجشمون
مشاق الاسفار الى بلد الله الحرام فتنسل ذنوبهم ثم يستأنفون مكابدة
السفر الى المدينة المنورة فيحملون من الاوزار ما يعودون الى بلادهم
وقد تنوع به كواهلهم

سل أبة عجوز من المصريات هل الذي هنا في هذا القبر آله أو شريك
للاله أو وزير للاله ؟ تجيبك بصريح العبارة . حاشا وكلا . انه عبد الله
ورسوله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولكن مولاه اجتباه وبعثه الى
الخلق ليرشدهم الى الحق حتى اختاره الى جواره الكريم
فنحن ان قطعنا الفياق والفقار للوصول الى أحد المساجد الثلاث التي

تشد إليها الرحال فما هو الا لطلب رضوان الله تعالى والتماس المدد الذي استمدته منه رسوله وحيبيه

وهو عليه الصلاة والسلام حي في قبره يرد السلام على من يسلم عليه ومن يعارض في هذه الحياة فهو يتشكك في الايمان بالآخرة والجنة والنار حيث ان أهل النار يعمدون فيها ولا يموتون والنار في علمنا انها مميتة فالقدرة التي تبقى الحياة في أجساد هؤلاء المخلدين في العذاب قادرة أيضا على اعطاء الحياة للجسد في البرزخ بغير حاجة الى غذاء أو هواء

وبما ان وظيفتي هنا كمؤرخ فحسب وان انتقادي هو من ناحية العمران والاجتماع وأما من ناحية الشفاعة والوسيلة والمعجزات والكرامات والحياة البرزخية وما الى ذلك فليس من شأنى البحث فيه . بل من عندهم علم الكتاب سادتنا العلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الذين يبينون ويرشدون . ولقد ارتاحت نفسى كثيرا الى ما يكتبه حضرات علماءنا الاجلاء بمجلة نور الاسلام الازهرية القراء في هذا المدد مما أَرْضَى الله سبحانه وتعالى وأَرْضَى الامين المؤمنون في قبره

الاتصال بالمدعى

أصبحنا الجمعة ٢٠ الحجة ٨ مايو فبكرت الى المسجد النبوي الشريف لأحظى بشرف الزيارة وقد مكثت في هذا المتاع الحسن حتى مطلع الشمس ثم خرجت الى جهة مقبرة المدينة المنورة وهي (بقيع الغرقد) فقاباني رجل مدني من رجال الشيخ حامد الخطيري الذي ينزل عنده أهل مصر وأهل الوجه البحري من القطر المصري وقد أخذ اسمي وبلدى وطبع صورتي أيضا في مخيلته ولزاما على كل نازل بالمدينة المنورة ان يتصل بالمدعى

كما كان يتصل بالطوف بمكة والطوفون في مكة كثيرون لان الحجاج ينزلون
بها في وقت واحد أما المدينة المنورة فان الزوار يأتون اليها زمرا زمرا وفي
أوقات مختلفة

عَنْ أَنُوارِ البَستِيعِ

دخلت من الباب المقام هناك فوجدت القبور كلها صارت مع الارض
في مستوى واحد ولقد أخذ مني العجب أي مأخذ من مبدأ الوهايين في
الكراهة الشديدة للقبور فما رأيت أمة ولا مذهبا يقول قولهم
وضعت حذائي تحت ابطن ومشييت ولو استطعت ان امشي على
صفحات خدي ما ترددت لانهم اهل البقيع وما ادراك من هم اهل البقيع
هم اقرباء النبي الكريم وانسابه وعترته واهل بيته بل هم الكواكب
المتألقة في سماء الاسلام الصاحبة فهم هداية وهم قادة الخلق الى عز
الحياتين

مولاتي الزهراء

انه يعز علي ان تندثر معالم قبرك الشريف حتى يداس عليه بالاقدام ولو
اقيم بجانبه مسجد أو أي بناء مامشي عليه احد وهو يدب بالنعال
قامت الحرب بين روسيا واليابان فكان الشبان اليابانيون يتطوعون
للجنديّة مدفوعين بعامل التحمس للوطنية وقد تقدم الى مكتب الفرز
فتي من اهل طوكيو فلم يقبله الكشف الطبي لضعف في بصره فقال اذا لم